

Game : Scenarios[Arabic Version]

رحلة ابن بطوطة

رحلة ابن بطوطة

منقول من مختصر كتاب مختصر رحلة ابن بطوطة للكاتب فؤاد قنديل المختصر في رحلة ابن بطوطة
(المقطع من بداية الرحلة وصولا إلى أول حجة ثم بلاد العراق واليمن والصومال)

غلاف الكتاب



ظهر الكتاب

«يعد كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للرحالة المغربي ابن بطوطة من أهم الكتب التي تعتز بها المكتبة العربية؛ لأنه فريد في مجاله، ممميز في بابه، والكتب المماثلة له قليلة، فضلاً عن أنها لاتدانيه في الماده العلمية والثقافية أو لاتجاريه فيما احتوى عليه من أماكن ومعالم وأثار وشخصيات، كما أن أصحابها لم يبلغوا ما يبلغ صاحب هذا الكتاب الذي أمضى نحو ثلاثين عاماً هي أغلى سنوات عمره في الطواف بالبلاد شرقاً وغرباً.

ولابالغ إذا قلنا: إن ابن بطوطة هو الرحالة العالمي الأول الذي لم يقطع أحد مثله كل تلك المسافات، ولا قضى كل هذه السنوات، ولا عايش كل هذه الفنات المتعددة من البشر المختلفين لغة ولو نأى وجنساً وعرقاً، وطعاماً وشراباً، وعادات وأزياء، وعقائد وأهواه..»

إننا بوصفنا من عشاق الرحالة العظيم - لاملك إلا أن نقدم إلى شباباً أمتنا وفيياتها تلخيصاً لهذه الرحلة العظيمة بكل التفاصيل الثقافية لتكون باعثاً لهم على حب السفر ومداومة الاطلاع على كل ما يكشف أسرار العالم الغامض والمناطق المجهولة، فذاك بعض ما يتمنى على الإنسان أن يسعى إليه خاصة في هذا العصر.

دار سلام للكتاب

12 شارع محمد الخامس تايريك - سلا

الهاتف: 0537855299 - الفاكس: 0537853223

يُعد كتاب «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» للرحالة المغربي ابن بطوطة من أهم الكتب التي تعتز بها المكتبة العربية؛ لأنه فريد في مجاله، ممميز في بابه، والكتب المماثلة له قليلة، فضلاً عن أنها لاتدانيه في الماده العلمية والثقافية، أو لاتجاريه فيما احتوى عليه من أماكن ومعالم وأثار وشخصيات، كما أن أصحابها لم يبلغوا ما يبلغ صاحب هذا الكتاب الذي أمضى نحو ثلاثين عاماً هي أغلى سنوات عمره في الطواف بالبلاد شرقاً وغرباً .

ولابالغ إذا قلنا: إن ابن بطوطة هو الرحالة العالمي الأول الذي لم يقطع أحد مثله كل تلك المسافات، ولا قضى كل هذه السنوات، ولا عايش كل هذه الفنات المتعددة من البشر المختلفين لغة ولو نأى وجنساً وعرقاً، وطعاماً وشراباً، وعادات وأزياء، وعقائد وأهواه ..

إننا بوصفنا من عشاق الرحالة العظيم - لاملك إلا أن نقدم إلى شباباً أمتنا وفيياتها تلخيصاً لهذه الرحلة العظيمة بكل التفاصيل الثقافية لتكون باعثاً لهم على حب السفر ومداومة الاطلاع على كل ما يكشف أسرار العالم الغامض والمناطق المجهولة، فذاك بعض ما يتمنى على الإنسان أن يسعى إليه خاصة في هذا العصر .



دار سلام للكتاب

12،شارع محمد الخامس تايريك - سلا
الهاتف: 0537855299 - الفاكس: 0537853223

• اسم الكتاب : رحلة ابن بطوطة
• المؤلف : فؤاد قنديل
• رقم الإيداع القانوني : 2015 MO 3135
978 - 9954 - 9411 - 5 - 7 :
• ردمك 2458 - 6536 :
• ردمد
• الطبعة الأولى 2015
© جميع الحقوق محفوظة
سفير الدولية للنشر
دار سلا للكتاب
طبع بدار النشر المغربية - عين السبع الدار البيضاء

رحلة ابن بطوطة

تحفة الناظار في غرائب الأمصار
و عجائب الأسفار

خلاصة الرحلة

بقلم

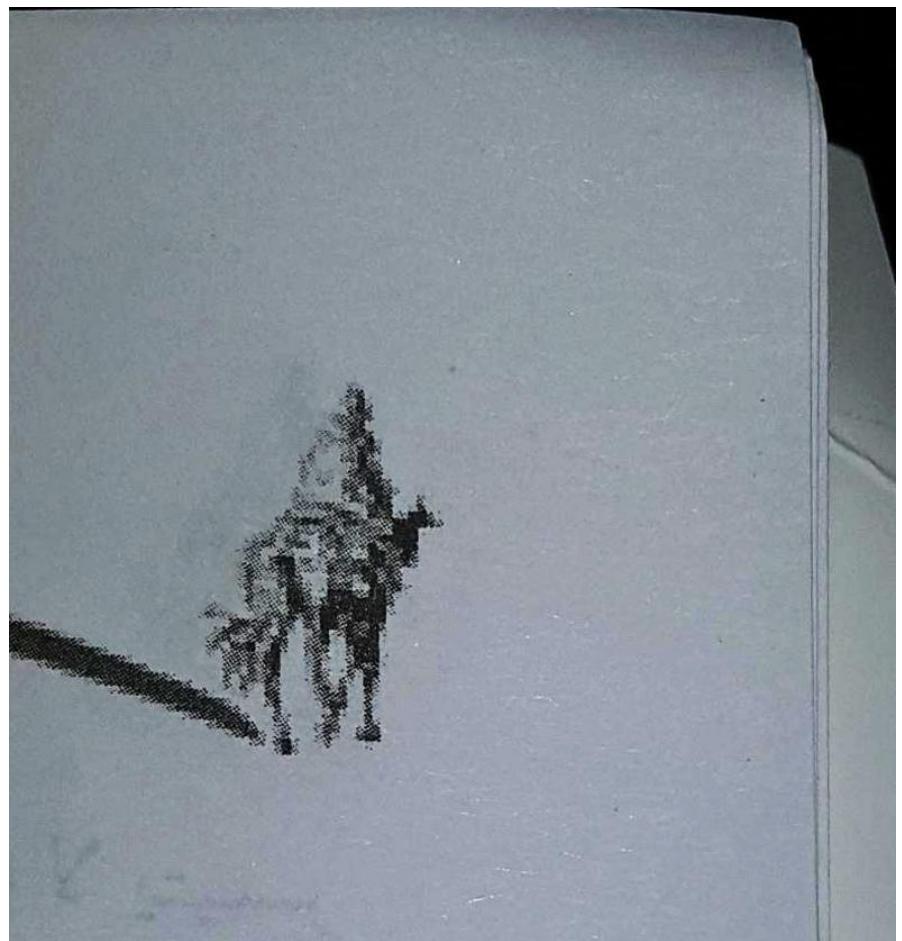
فؤاد قنديل

سفر



• اسم الكتاب : رحلة ابن بطوطة
• المؤلف : فؤاد قنديل
• رقم الإبداع القانوني : 2015 MO 3135
978 - 9954 - 9411 - 5 - 7 :
• ردمك : 2458 - 6536
• ردمد :
•

• الطبعة الأولى 2015
© جميع الحقوق محفوظة
سفير الدولية للنشر
دار سلا للكتاب
طبع بدار النشر المغربية - عين السبع الدار البيضاء



رحلة ابن بطوطة



البداية

أظنكم تسمعون عنى، فأنا «أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد ابن إبراهيم اللواتي» من «طنجة» بالمغرب، المعروف بابن بطوطة.

ولدت في السابع عشر من رجب سنة 703 هـ لأسرة تهتم بالعلم وعمل كثير منها بالقضاء، وسرت على الدرب ذاته، فدرست علوم الدین والفقه واللغة، وحفظت القرآن قبل أن أبلغ الخامسة عشرة،



- اسم الكتاب : رحلة ابن بطوطة
المؤلف: فؤاد قنديل
رقم الإيداع القانوني: 3135 MO 2015
ردمك: 978-9954-9411-5-7
ردمد: 2458-6536: ردمد

طبعة الأولى : 2015
جميع الحقوق محفوظة
سفير الدولة للنشر
دار سلا للكتاب
طبع بدار النشر المغربية-عين السبع الدار البيضاء

الصفحات المنقولة : من ص الصفحة أول الكتاب 1 إلى الصفحة 41

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ الكريم من أهم الكتب التى تتعزز المكتبة العربية ؛ لأنه فريد في مجده، مميز في بابه، والكتب المماثلة له قليلة، فضلاً عن أنها لا تدانيه في الماده العلمية و الثقافية، ولا تجاريه فيما احتوى عليه من أماكن ومعالم و آثار و شخصيات، كما أن أصحابها لم يبلغوا ما يبلغ صاحب هذا الكتاب . إنه كتاب و تحفة الناظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار للرحالة المغربي ابن بطوطه، الذى أمضى نحو ثلاثين عاماً هي أغلب سنوات عمره في الطواف بالبلاد شرقاً و غرباً، و سجل أغلب ما رأى و سمع و عاش وأحس و عانى و خاطر؛ حيث تعرض للموت بكافة الأشكال عدة مرات.

اسمه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الواقي الطنجي ، قبيلته هي «لواته» و مسقط رأسه في مدينة طنجة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي من مدن المغرب، التي تقع أقصى غرب الشمال الإفريقي، والمدينة ذاتها تقع على قمة الحدود الإفريقية شمالاً عند ملتقى البحر المتوسط بـالمحيط الأطلسي .

أي أنه غاب عن بلاده نحو ثلاثين عاماً، ولم يرتحل مثله إلا أبو حامد الغرناطي الأندلسي، فقد غاب مدة طويلة إلا أنه ظل يرتحل بين البلاد - عن الأميركيتين الشماليتين والجنوبية وعاد الرجل عام 754 هـ، طاف من خلالها الأرض المعمورة جميعها تقريباً إلا المنطقة القطبية الشمالية، وجنوب إفريقيا، ولم يكن العالم يعرف شيئاً حين قام برحلته وكتاب «تحفة النظار» كتاب بديع وجذاب يقدم تفاصيل رحلة ابن بطوطة التي بدأت عام 725 هـ وكان عمرهاثنين وعشرين عاماً.

ولا بالغ إذا قلنا: إن ابن بطوطة هو الرحالة العالمي الأول الذي لم يقطع أحد مثله كل تلك المسافات، ولا قضى كل هذه السنوات، ولا عايش كل هذه الفئات المختلفة من البشر المختلفين لغة ولونا وجنساً وعرقاً، وطعاماً وشراباً، وعادات وأزياء، وعقائد وأهواه.

ولد ابن بطوطة عام 703 هـ وتوفى عام 776 هـ (أي بين عامي 1304م و 1375م)، وقد قدم برحلته - التي أملها على ابن جزى مواطنه المغربي تنفيذاً لدعوة سلطان البلاد - خدمة كبرى للعالم أجمع من تأسيس قرآنها في العالم العربي ناحية من أخرى ويستحق لذلك الثناء والتقدير على مدى الأيام.

إننا - بوصفتنا من عشاق الرحالة العظيم - لا نملك إلا أن نقدم إلى شباب أمتنا وفتياتها - الذين يتطلعون المستقبلاً بشغف وهم مسلحون بالعلم والمعرفة - تلخيصاً لهذه الرحلة العظيمة الفياضة بكل الشمرات الثقافية عن العالم حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، بما لا يتيسر معرفته في غير هذا الكتاب.

ونتفق أنه سيكون موضع إقبال القراء، كما نتفق أنه سيكون باعثاً لهم على حب السفر ومداومة الاطلاع على كل ما يكشف أسرار العوالم الغامضة والمناطق المجهولة، فذلك

وتمناًتنا دائمًا بالوفقة

فؤاد قنديل

الدابة

أظنكم تسمعون عنى ، فانا (ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللوائى من (طنجة) بالغرب؛ والمعروف بابن بطوطة . ولدت في السابع عشر من رجب سنة 703 هـ لأسرة تهتم بالعلم وعمل كثير منها بالقضاء، وسرت على الدرب ذاته، فدرست علوم الدين واللغة، وحفظت القرآن قبل أن أبلغ الخامسة عشرة، وعملت سنتين فقيها وخطيبا، إلى أن اشتدت بي الرغبة في أداء فريضة الحج ، حتى أصبحت شاغلي وهمى ومنتهى أملى، وعقدت العزم على الرحالة، و لما يسر الله، خرجت من طنجة) مع جموع من الرفاق يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام سبعمائة وخمسة عشرين هجرية (1325 م).

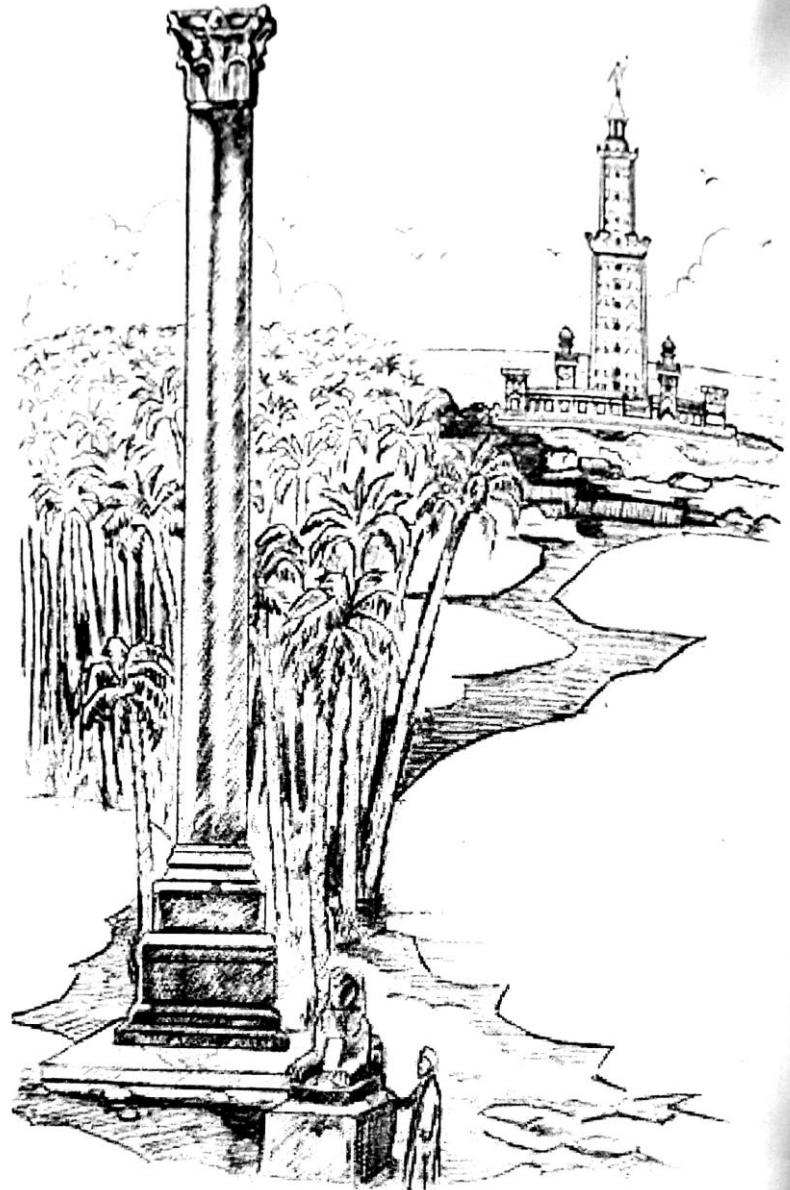
حملتنا الجمال في رحلة تهفو القلوب مع كل خطوة فيها ومرحلة إلى زيارة مكة وقبر الرسول الكريم؛ لستكملي بها أركان إسلامنا الذي لا تستقيم لنا حياة بدونه .
وصلنا تونس فقيينا بها عدة أشهر، وكلفني أهلها بالخطبة والقضاء بينهم، وقد أرضاني هذا وهذا خاطري، فقد كانت الحمى قد أصابتني بعد أن غادرنا مدينة بونة وعنابة ، بالجزائر، حتى إن كنت أشد نفسي بعمامه فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف، ولا



يمكنتى النزول خوفاً من قطاع الطرق والصحراء المجهولة الشاسعة و المجدبة .
وعندما وصلنا إلى تونس أقبل أهلها يسلمون على كل من معى، ولم يسلم أحد على، فحزنت واشتد بكائى، وسرعان ما تقدم بعض أهلها لتحيى ومؤانستى فذهبت
وحشته، ولم ألبث أن وجدت الراحة بينهم لفروط مودتهم .-

ثم رحلنا عنها آخر ذى القعدة إلى ليبيا فمررتنا بكل مدناها وقرابها الساحلية حتى بلغنا الإسكندرية - حرسها الله - وهى مدينة تجمع كل المحسن والمدهش من العمران،
وهي- على اتساع مساحتها - أنيقة وجميلة تقطعها الشوارع النظيفة المزينة بالورود . زرت كافة
معاملها وخاصة المئارة وعمود السوارى، وهو عمود هائل من الرخام يقع وسط غابة من التحيل، وزرت المبناه الشرقي والغربي ، وكلاهما عامر بالسفن والبضائع .
وحرصت كعادق على لقاء العلماء والأولياء والمتصوفة والفقهاء، وعلى رأسهم الإمام الورع الزاهى (برهان الدين الاعرج ، وقد دعاني للإقامة عناه ثلاثة أيام، وقال لي يوما :

-أراك تحب السياحة والجولان في البلاد .
قلت له: نعم.



وَمِنْ يَكْنَ حِينَذْ بَخَاطِرِي التَّوْغُلُ فِي الْبَلَادِ الْبَعِيْدَةِ، فَكُلُّ الْمَرَادِحِ الْبَيْتِ وَالصَّلَاةِ فِي الْحَرَمِ وَزِيَارَةِ قَبْرِ الْمُصْطَفَى، لَكُنَّ الشَّيْخَ قَالَ: - سُوفَ تَزُورُ الْهَنْدَ فَلَابِدَ أَنْ تَنْتَقِي بِأَخِي، فَرِيدَ الدِّينِ) ، وَأَخِي (رَكْنُ الدِّينِ زَكْرِيَاً) بِالسِّنَدِ، وَسُوفَ تَبْلُغُ الصِّينَ وَعَلَيْكَ زِيَارَةُ أَخِي بَرَهَانِ الدِّينِ، وَأَرْجُو أَنْ تَبْلُغُهُمْ مِنْنِي السَّلَامَ.

وَهَذِهِ الْأَقْنِيَ فِي رُوعِي التَّوْجِهِ إِلَى تَلْكَ الْبَلَادِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ لَهُ مَا أَرَادَ، فَقَدْ تَجَولَتْ فِي الْبَلَادِ الَّتِي ذَكَرَهَا وَحَمَلَتْ سَلَامَهُ إِلَى إِخْوَتِهِ، فَقَدْ سَالَتْ عَنْهُمْ وَلَقِيَتْهُمْ، وَمُنْتَصِرَّ مُطْلَقاً أَنْ يَحْدُثَ هَذَا .

وَتَنَقَّلَتْ فِي أَنْحَاءِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَزَرَتْ شَتِّي مَسَاجِدِهَا، ثُمَّ اتَّجَهَتْ جَنُوبًا إِلَى دَمْنَهُورَ وَبَلَغَتْ «فُوْفَةَ» الَّتِي سَعَيْتَ إِلَيْهَا لِأَقْنِي الشَّيْخِ (عَبْدُ اللَّهِ الْمُرْشَدِيِّ، فِي زَاوِيَتِهِ، وَأَصْرَ عَلَى أَنْ يَضْيَفَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامَ، وَفِي دَعْنَى لِلنَّوْمِ عَلَى سَطْحِ الْرَّازِيَّةِ، وَحَلَّمْتُ كَأْنِي عَلَى جَنَاحٍ طَائِرٍ عَظِيمٍ يَطِيرُ بِي نَحْوَ الْقَبْلَةِ ثُمَّ يَتَجَهُ شَرْقًا وَيَمْضِي بَعِيدًا حَتَّى يَبْهِطَ إِلَى أَرْضِ مَظْلَمَةِ خَضْرَاءَ، ثُمَّ يَرْكَنُ هَنَاكَ وَيَصْعُدُ عَلَيَا وَيَخْتَفِي.

حَكَيَتْ لِلشَّيْخِ حَلْمِيَّ فَقَالَ:

- سُوفَ تَحْجُجْ وَتَزُورُ النَّبِيِّ، وَتَجُولُ فِي بَلَادِ الْيَمِنِ وَالْعَرَاقِ وَبَلَادِ التَّرْكِ وَتَبْقِي بِهَا مَدْةً طَوِيلَةً، وَسَتَقُونُ فِي شَدَّةِ وَيَخْلُصُكَ (دَلْشَادُ الْهَنْدِيُّ)، ثُمَّ تَتَوَجَّهُ شَرْقًا، وَسُوفَ تَجِدُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فَأَمْضِيَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَلَا تَرْدُدْ، فَمَا حَلَّمْتَ بِهِ - لَيْسَ حَلَّمَا وَلَكِنَّهُ رُؤْيَا. أَيْ إِنَّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّحَقُّقِ إِذَا عَقَدَتِ الْعَزْمُ . أَدْرَكَتْ حِينَذْ أَنَّ الرَّحْلَةَ إِرَادَةَ اللَّهِ، وَأَنَّهَا قَدْرٌ وَعَلَى الْوَفَاءِ، وَالْقِيَامُ بِمَا اخْتَارَتِنِي لِهِ الْعُنَيْنَيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ.. وَشَمَلَنِي إِحْسَاسُ بِأَنَّ الدُّعَوَةَ السَّمَوَيَّةَ سَتَكُونُ خَيْرًا لِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا دَامَتِ الإِشَارَاتُ كَثِيرَةً وَفِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ.

لَقَدْ فَتَحَ الشَّيْخَانِ عَيْوَنَيْ، وَأَطْلَقَنَا أَخْيَلَةً نَفْكَرِيَّ، وَاسْتَنْفَرُوا هَمْتِيَّ، شَعُورَ غَامِضَ بِأَنَّ هَذِهِ الْبَلَادَ تَنْتَظِرُنِي، بَلْ لَقَدْ تَصَوَّرْتُ أَيْضًا أَنَّ بِلَادِيِّ وَأَهْلِيِّ فِي الْمَغْرِبِ سَيِّرَهُمْ مَسْعَاهُ، وَسُوفَ يَتَقْبَلُونَ غَيْابِيَّ مَادِمَتْ عَلَى الْعِلْمِ مَقْبِلاً، وَفِي رَؤْيَا الْمَعْمَرِ وَرِمَانِ الْأَرْضِ رَاغِبًا. انْطَلَقَ السَّهْمُ مِنَ الْقَوْسِ وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُتَعَذِّرِ الْإِمْسَاكُ بِهِ وَإِعَادَتِهِ، وَهَذِهِ مَضِيَّتِ أَطْوَافِ الْعَالَمِ وَأَجْوَلَ مُتَنَقْلًا مِنْ بَلْدٍ إِلَى بَلْدٍ عَلَى مَدِيَّ ثَلَاثَيْنِ عَامًا، وَأَظَنَّ أَنِّي قَطَعْتُ أَطْوَالَ الْمَسَافَاتِ الَّتِي يَقْطَعُهَا إِنْسَانٌ عَلَى الْأَرْضِ. لَقَدْ زَرْتُ وَأَقْمَتْ بِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ مِدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ، وَاسْتَخَدَمْتَ كَافَةَ وَسَائِلِ النَّقْلِ مِنَ الْجَمَالِ وَالْخَيْوَلِ وَالْعَرَبَاتِ وَالسُّفَنِ بِشَتِّي أَشْكَالِهَا، مِنْ أَقْصَى شَرْقِ الْأَرْضِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى أَقْصَى الْغَربِ.

وَدَخَلَتْ عَشَرَاتِ الْقُصُورِ وَالْقَلَاعِ وَمِئَاتِ الْمَزَارِاتِ وَالْقَبُوْنِ، وَآلَافِ الْبَيْوَتِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْكَنَائِسِ وَالْمَعَابِدِ وَصَعَدَتْ عَشَرَاتِ الْجَبَالِ، وَرَكِبَتِ الْبَحْرِ عَشَرَاتِ الْمَرَاتِ بِمَا يَوَازِي مَجْمُوعَهُ السَّتِينِ أَوِ الْثَّلَاثَةِ، وَسَرَتْ عَشَرَاتِ الْأَلَافِ مِنَ الْأَمْيَالِ وَالتَّقِيتِ بِالسَّلَاطِينِ وَالْحَكَامِ، وَتَعَامَلَتْ مَعَ الْأَلْفِ الشَّخْصِيَّاتِ وَتَحَاوَرَتْ مَعَ ثَلَاثَيْنِ لَغَةً وَلَهْجَةً، وَكَسَبَتِ الْمَلَائِينِ ثُمَّ أَنْفَقَتِهَا، وَتَرَوَجَتْ وَأَنْجَبَتِ الْأَبْنَاءَ، وَقَدْ رَحَلَ وَتَحْفَةً مُعْظَمِهِمْ .. بَلْ لَقَدْ دَخَلَتْ فِي مَعَارِكَ وَأَشْرَفَتْ عَلَى الْمَوْتِ مَرَاتِ كَثِيرَةٍ، وَسَرَتْ فِي صَحَراَوَاتِ بِلَا نَهَايَةِ الْأَسْبَابِ وَالْشَّهُورِ، وَكَمْ ذَقَتِ الظَّمَاءَ وَالْجَوْعَ وَالْخُوفَ وَمَلَانِي الْيَأسِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ امْتَلَاتِ رُوحِي بِمَحْبَةِ الْبَشَرِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِمْ، وَامْتَلَاتِ ذَاكِرَتِ الْذَّكَرِيَّاتِ الَّتِي يَنْظَرُ فِيهَا وَيَصْبِعُ جَمِيعَهَا فِي كِتَابٍ وَلَا حَتَّى فِي مَجَالِدَاتِهِ، وَسَمِعَتْ مِنَ الْحَكَاهِيَّاتِ وَالْتَّوَارِيَّخِ مَا يَتَعَذَّرُ قَصْهُ بِالْتَّفَصِيلِ إِلَى مَدِيَّ سَنَوَاتِهِ، وَطَالَعَتْ آثَارَ الْأَمَمِ الَّتِي زَالَتْ، وَشَاهَدَتْ عَشَرَاتِ الْمُعْتَقَدَاتِ مِنْ غَيْرِ الْأَدِيَّانِ السَّمَا وَيَةَ .

لَا يَكُنُ ذَلِكَ جَمِيعَهُ بِالْمُمْكِنِ لَوْلَا :

1- التَّوَجِيَّهُاتُ الْرَّبَانِيَّةُ الَّتِي وَرَدَتْ عَلَى لِسَانِ الشَّيْخِينَ

2- حَبِي لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ .

3- حَبِي لِتَأْمِلِ الْحَيَاةِ وَالْوَجُودِ وَكُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ.

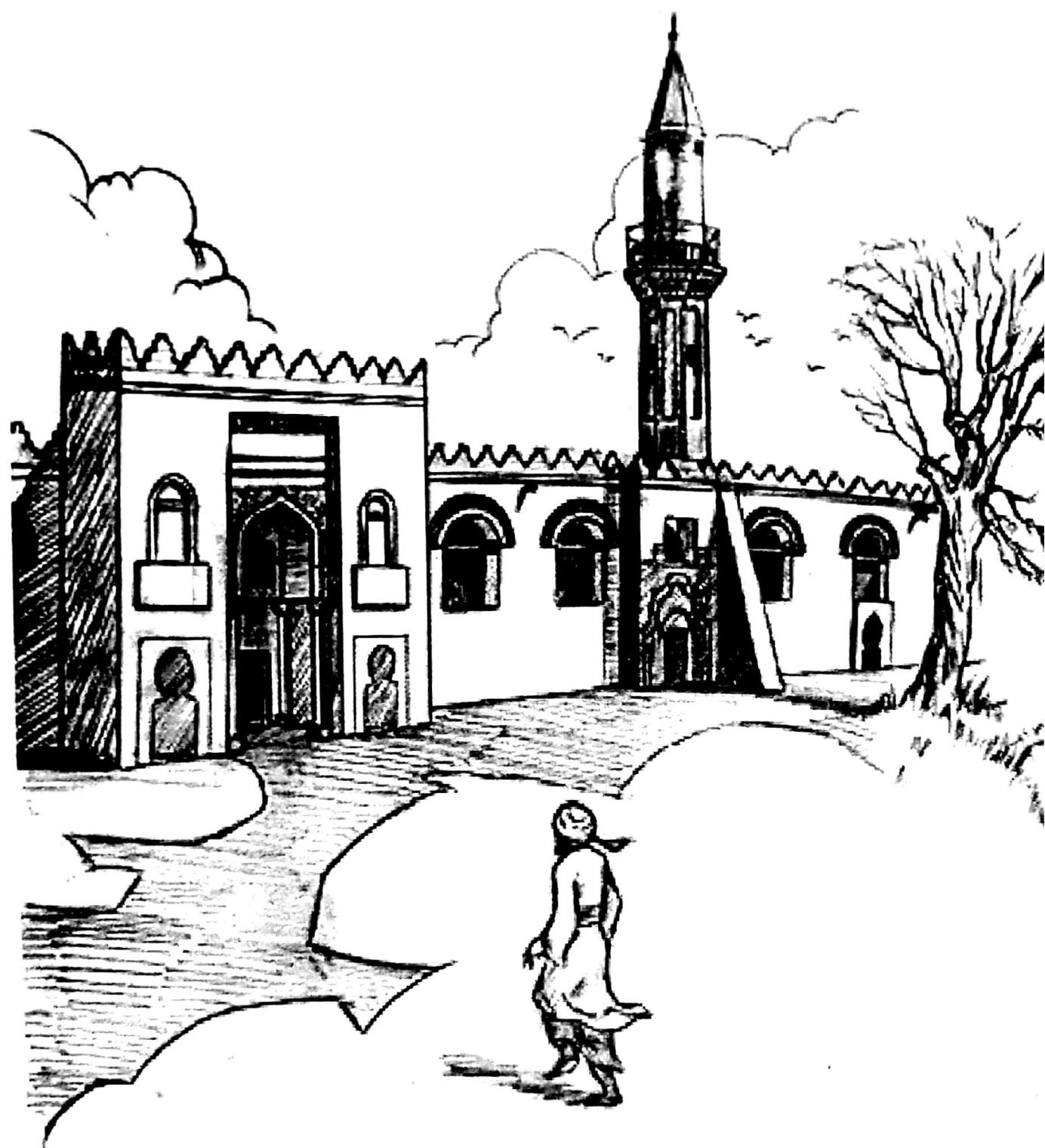
4- حَبِي لِلصَّفَرِ وَاسْتَعْدَادِي لِتَحْمِلِ الصَّعَابِ .

5- اِنْتَشَارُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَكَثُرَةُ مِنْ أَعْانُونِي.

6 - حرصى على مقابلة السلاطين وكبار المسؤولين والعلماء .
وها أذناً أضع بين أيديكم كتابي:
(تحفة النّاظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)
فأنا أعتقد - بكل تواضع - أن تجربتي التي استهلّكت أهم سنين عمري من الشباب والكهولة، تكاد تكون بلا نظير، فهي تحفةٌ من ينظر فيها ويتأملها؛ لأنّها تتضمن
الغرائب والعجائب التي لم يجمعها غيري من الرحالة السابقين، ولا أظن أحداً منهم مرّ بما مررت به، ولا
عاني ما عانيت، ولا ذاق ماذقت أو قابل من قابلت، ولعل أكثر ما يدهش فيما رأيت وجمعت هو عادات البشر وطبعاتهم، وأكثرها غريب علينا.
وأحمد الله أنّه أعادني على إلقاء ضوء كاشف على هذا العالم الفسيح الذي لم نكن نعرفه قبل رحلتي.

القاهرة

وصلت إلى القاهرة، ويسمونها مصر، فهي أمّ البلاد وتحمل اسمها ، وبها يجري النيل العظيم الذي يشق من البلاد ممّ شمالها إلى جنوبها ، لكنه في القاهرة أجمل ومحاط بالزروع والحدائق ، وعلمت أن المراكب التي تصعد دفـيـه تبلغ ستة وثلاثين ألفاً تحمل الخبرات والخلافـق .
وقد زرت مسجد عمرو العاص وهو مسجد كبير القدر شهر الذكر، كما زرت المارستان بين القصرين، وهو مستشفى ضخم يمتلك بالأسرة والأدوية، ولاحظت إقبال الأثرياء على بناء الزوايا وتنافسهم في ذلك، وكل منها مخصص الطائفة من الفقراء، وكل زاوية شيخ وحارس، وترتيب أمورهم عجيب، ومن عوائدهم في الطعام أن يأتـ خادم الراوية إلى الفقراء صباحاً، فيسجل ما يشهـيه كل واحد من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان إثـاء فيه ما طلب . وطعمـهم مرتان في اليوم، وكل منهم كسوة في الشـتاء وكسوة في الصيف ومرتب شـهرـي في حدود الثلاثين درهماً، ولهم الحلاوة من السكر كل جمـعة، والصابـون لغسل الملابـس، والأجرة لدخولـ الحمام، والزيـت لإضاءـة المصـابـح، وللمـتزوجـين منهم زوايا وللعزـابـ غيرـها، وكل فـرد سـجـادة خـاصـةـ بهـ، ولا يطلبـ منهمـ غيرـ حضـورـ الصلـواتـ الخـمسـ وقرـاءـةـ القرآنـ.



وقد زرت القبر الذي فيه رأس (الحسين) رضي الله عنه و قبر السيدة نفيسة ، والإمام الشافعى وعشرات غيرهم .
وكان سلطان مصر على عهد دخوله هو الملك الناصر قلاوون « وكان يعرف بالألفى؛ لأن الملك الصالح ()) اشتراه بألف دينار ذهباً، وقد التقيت بعدد كبير من العلماء
والفقهاء والصالحين لا أكاد أحصيهم، وقمني أن يطول مقامى معهم لأنهم من علمهم، وكان
مشهد المحمل وهو يطوف بأحياء القاهرة رائعاً، إذ يركب الفقهاء الأربعية وكبار رجال الدولة والعسكر وكافة المهن في موكب مهيب، يتقدمه الأمير المعين للسفر إلى
الحجاج فيتأجج الشوق، وتنهفو النفوس
لزيارة الأماكن المقدسة .
أعرف أن كل من زار القاهرة عاد إليها وأدام العيش فيها، لكننى لابد أن أمضى نحو الحرم ونحو الشرق على جناح الطائر، الذى أكاد أحسن به يهزنى ويستحثنى للمسير.



إلى البحر الأحمر والشام

سرت مع الرفاق جنوباً، فمررت بمدن كثيرة منها منية القائد وبوش» المشهورة بالكتان و دلاص» مثل سابقتها ثم «ببا) و البهنسا»، ومنها إلى منية أبو الخصيب (المنيا الآن)، وهي مدينة كبيرة بها الكثير من المدارس والمساجد والزوايا والعمران، وانتقلت إلى ملوى ثم منفلوط وبعدها أسيوط، وبها كثير من المشايخ ومررت بمدينة أخميم، وبها آثار كثيرة للأوائل لم نفهم المكتوب عليها والمتقوش على حجارتها كصور الأفلاك والكواكب والحيوانات والبشر والملوك .

(ومن) أخميم دخلت مدينة دهو» وهي مدينة كبيرة بساحل «النيل، وقد سمعت أن بها رجلاً صالحًا هو «أبو محمد عبد الله الحسني» فذهبت إليه للتلبرك، وما سألني عن قصدى آخرته أنى أريد) البيت الحرام على طريق (جدة ، فقال :
لن يحصل لك هذا فارجع، وعليك أن تتعج عن طريق الشام فانصرفت، ولم أحفل بكلامه ومشيت في طريقى حتى وصلت ())) (عيذاب، فلم أستطع السفر ، فعدت راجعًا إلى مصر عازمًا السير إلى الحج عن طريق الشام.

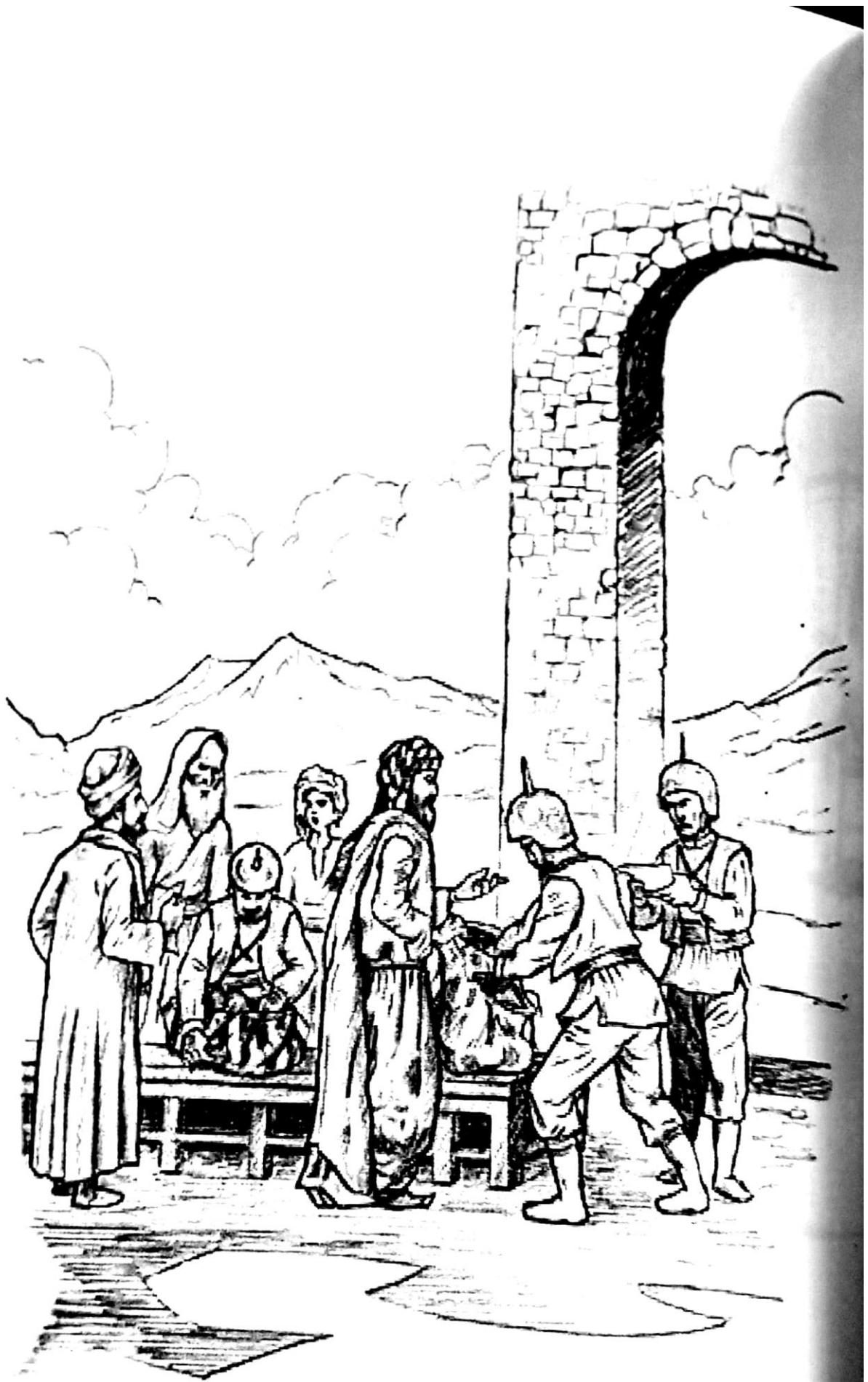
وكنت قد سافرت إلى قتنا»، وهي صغيرة حسنة الأسوق، وبها قبر الولي صاحب الراهين العجيبة (عبد الرحيم القناوى)، ورأيت بالمدرسة السيفية حفيده () شهاب الدين أحمد)، ومنها غادرت إلى قوص » وهي مدينة عظيمة بها خيرات عميقة، وبها الزوايا العديدة للفقراء وبها الكثير من البلغاء ، ثم سافرت إلى الأقصر، وهي صغيرة وبها قبر العابد الصالح أبو الحجاج الأقصري ، ومضيت إلى أرمنت، و«إسنا» و«أدفو» و«العطوان» ، ومنها اكرتنا الجمال واجتننا الصحراء الخالية من أية عمارة ولكنها آمنة لزيارة قبر أبي الحسن الشاذلي»، وأرضها كثيرة الضباب وبنينا ليتنا نحاربها، لكنها نهشت الكثير من طعامنا.

وبعد أن سرنا خمسة عشر يوماً بلغنا وعيذاب ، وهي مدينة كبيرة على البحر الأحمر بها الأسماك وافرة والألبان، وأهلها من قبائل البحارة، وهم سود اللون يلبسون عباءات صفراء ويشدون على رؤوسهم العصائب، وعند وصولنا إليها كان البحارة يحاربون الأنزاك وخرقوا جميع المراكب وهذه تعذر السفر، وعدنا إلى وقاص، وركبنا النيل فحملنا إلى القاهرة ، ومنها إلى «بلبيس، ثم الصالحية ، ومنها دخلنا الرمال وتركتنا الوادي والحضر، ومررتنا بالسوادة و الواردة، و العريش والخربة، وكان بكل منها فندق صغير يسمونه الخان، وهو منزل كبير مقسم إلى حجرات وحظائر ينزله المسافرون بدوابهم ، و بخارج كل خان وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه من طعام وشراب. ومررتنا بمدينة اسمها «قططيا» قبل «الفرما» (العريش)، بيتها من جريد النخل، ويشرب أهلها من بئر، ماؤها مالح قليلاً، وبها سمك كثير، والمدينة مشهورة لدى كل المسافرين؛ لأن بها ما يشبه «الجمرك الذي لم نر مثله في أي مكان حتى الآن، وهذا الجمرك أو البوابة عليها رجال يأخذون الزكاة من التجار، بعد أن يقتضوا أمتعتهم

ويبحثون فيها أشد البحث، ودخلها من ذلك كثیر قد يصل إلى نحو ألف دينار ذهب يومياً، ولا يجوز ولا يسمح لأحد أن يمر إلى الشام عبرها إلا بتصریح، ولا أن يدخل إلى مصر قادماً من الشام إلا بتصریح، حفاظاً على أموال الناس وإنقاذاً لهم من اللصوص الهاريين، وكذلك حماية للبلاد من جوايسس العراق، ولم

أعلم ما قصة جوايسس العراق، إلا أنني سمعت ذلك من بعض الأعراب. ولذلك فإن بهذه المدينة الدواوين والعمال والكتاب والشهود وغيرهم من أجل دقة تنفيذ المطلوب منهم، والغريب أن رأيت أيضاً هناك ما لم أر مثله بمكان، وهو من فعل هذه الدواوين التي تراقب لأنها الأرض؛ لأنها المعبر الوحيد الذي يمر منه المسافرون بين الشام ومصر.

إذاً كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبقى به أثر، ثم ياتي الأمير صباحاً، فينظر إلى الرمل فإن وجد به أثراً طالب العربان بإحضار



صاحبه، فيذهبون في طلبه، وسهل عليهم الوصول إليه، فیأتون به الأمير، فيعاقبه بما شاء.

ومن هنا مضينا إلى «غزة ، وهي أول بلاد الشام مما يلى (مصر) ، وهي مدينة عامرة بالخيارات والمتساجد، وبقينا بها أياما ثم مضينا إلى الخليل ، وهي بقرب بيت المقدس، وفيها قبر الخليل -- إبراهيم عليه السلام - وبها حصن كبير وبعض العمran، ومع أنها مدينة صغيرة المساحة فهي كبيرة المقدار تقع في بطن واد وبها مسجد أنيق الصنعة مبني بالصخر، يقال إن النبي السليمان - عليه السلام - أمر الجن ببنائه ، و في داخله قبور - إبراهيم) و إسحق، يعقوب ، وفي مقابلها قبور زوجاتهم، وبشرقى حرم الخليل مقبرة لوط) - عليه السلام - ثم مسجد اليقين.))

ومضيit إلى بيت المقدس مصعد رسول الله ، ومزارجه وبها المسجد العظيم الذى يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة وأثنين وخمسين ذراعا وعرضه أربعمائة وخمس و ثلاثين ، و المسجد كله فضاء وغير مسقف إلا الأقصى، وقبة الصخرة أتقن المبانى وأوفرها حظا من



الحسن والجمال، يصعد إليها على درج رخام وكل طرقها بالرخام ومعظم جدرانها مغطاة بالذهب، وهناك القبة الصخرية وتحتها مغاربة وإلى الجوار مصعد «يسى - عليه السلام - وقبـر) (مريم - عليها السلام . وفي كل شبر بالمدينة نور وإشراق وتاريخ فبقيت أيام تلو أيام، ثم غادرت إلى «عسقلان ، وهي ذات تاريخ وأمجاد ، لكنها كانت خرابا، ورأيت فيها مسجدا عظيما هو مسجد عمر، وبها وادي التمل المذكور في القرآن وقبور كثيرة للأولئاء الصالحين وزوايا عديدة للفقراء ينفق عليها ملك مصر

حلب ودمشق

زرت بعد (عسقلان و «الرملة» و «نابلس» و (عجلان) و اللاذقية، وكلها مدن عامرة أما (صور) فكانت خرابا مع أن بها بقايا عمارة حسنة وكانت ميناء شهيرا للسفن الصغيرة، سافرت منها إلى (صيدا)، ثم غادرت إلى (طبرية) حيث مسجد الأنبياء، فيه قبر شعيب (وموسى) - عليهما السلام - وقبـر «سليمان ، و يهودا »، وفيها الجب الذى ألقى فيه يوسف) - عليه السلام ، وقد شربنا منه الماء المجتمع من المطر، وسرنا إلى بيروت وبعدها إلى طرابلس القديمة و« طرابلس» الجديدة، وانتقلت إلى حصن الأكراد وإلى «حمص» التي تضم قبر (خالد بن الوليد، ومنها إلى مدينة حماة » و هي مدينة جميلة وبديعة تنتشر فيها السوقى ويشقها نهر العاصى.

وزرت المعرة ، التي ينتسب إليها الشاعر أبو العلاء المعري، وعلى بعد ميل منها قبر أمير المؤمنين وخامس عبد الخلفاء الراشدين عمر بن العزيز، ثم سرنا إلى سرمين أكثر شجرها الزيتون وبها عدة مصانع للصابون والملابس، وأهلها سباقون يكرهون رقم 10 ولا يذكرونها أبداً في حساباتهم، فإذا أراد أحدهم أن يحصل شيئاً قال ، ٩، ٧، ٨، ٩ تسعه واحد، وفيها مسجد به تسعه قبـل (جمع قبلة) ولم يجعلوها عشرة ،

أما حلب) فتحتاج إلى كتب لوصف جمالها وكثرة معاملها وقلاعها وحوادثها وطيب هواها وطيبة أهلها وجلال مكانتها، ويقال: إن الخليل - إبراهيم كان يتبعدها ، وقال فؤها ا لشعراء ما يكفي تمويراً لحسنها وعلو قدرها خاصة فضل علمائها.

ثم سافرت إلى (تيزين) و(أنطاكية) و« صهيون ، و مرت بقرى كثيرة تحمل كل منها اسم حصن، ومعظمها كانت قلاعاً ومعبراً للجنود، وأرضاً لمعارك ضارية عبر التاريخ.

وزرت الجبل الأقرع وهو أعلى جبل بالشام وسكنه من التركمان، ومنه إلى جبل لبنان، وهو خصيـب جداً، فيه كل الفواكه والعيون والظلـال والجمال، وانتقلنا إلى بعلبك الجميلـة ذات الصناعـات الحـسنة..... .

ثم سرنا إلى دمشق الفيحـاء مـقر أول دولة إسلامـية - هي الدولة الأموـية - وعندما دخلـت «دمـشق» كان قد مر عام وـشهران منـذ غـادرـت « طـنـجة » مـسقط رأسـيـ، قضـيـت

نصـفـها في مصر وـنحوـ ربـعـها في تـونـس، وكان مرـادـي عند زـيـارة دـمـشقـ مدـنـ وجـنـةـ الشـرقـ -

كمـاـ قالـ عنـهاـ ابنـ جـيـرـ.ـ أـنـ أـقـيمـ بـمـسـجـدـهاـ الأـمـوـيـ الكـبـيرـ ماـ استـطـعـتـ،ـ حتـىـ اـزوـدـ روـحـيـ بـالمـدـدـ الحـقـيقـيـ لـطالبـ عـلـمـ،ـ فـهـنـاكـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ إـمامـاـ،ـ وـالـقـضـاءـ وـعـلـمـاءـ الدـينـ

وـالـفـقـهـ وـالـبـلـاغـةـ،ـ وـحـلـقـاتـ اـلـتـدـرـيـسـ وـتـجوـيدـ الـقـرـآنـ .ـ وـكانـ المـسـجـدـ كـمـاـ توـقـعـتـ،ـ بلـ أـفـضـلـ مـنـ حـيـثـ الـبـنـاءـ .ـ وـ



والتصميم والتجهيز والارتفاع والضخامة والجمال والجاذبية ،وما حوله من الأسواق والصناعات.

وقد زرت جبل قاسيون في شمال دمشق) ، وفي الجبل مغارة من الدم التي يقال أن بها آثارا من دم هابيل بن آدم ، ويقال إن عددا كبيرا من الانبياء صلوا على هذا الجبل، وفي آخر الجبل الربوة المباركة الأنبياء على التي أوى إليها السيد المسيح وأمه عليهما السلام، وبها بيت يقال إنه مصلى الخضر عليه السلام ..

والامر الملحوظ في كل بقعة من بقاع «دمشق كثرة الحادقين الغنا ، والأدهار والأرض الخصبة والأشجار والورود ولأهلها من ذلك نصيب.

ومما لاحظته بدمشق الأوقاف التي لا تحصى أنها لكرتها، فمنها أوقاف للعاززين عن الحج، فيعطي ملن يريد الحج ولا يقدر ما يكفيه، ومنها أوقاف لتجهيز البناء للزواجه الالئي يعجز أهاليهن عن تجهيزهن، ومنها أوقاف لفلك الأسرى، وأوقاف لبناء السبيل، وأوقاف لتعديل الطريق ورصفها؛ لأن كل زقاق في دمشق له رصيفان في جنبيه، يمر عليهما السائرون على الأقدام، وپر في الوسط الراكبون الدواب والعربات .

رأيت ملوكا سقط منه طبق من الصيني فتكسر، فقال له الناس وقد رأوه حائزنا : اجمع شفتها واحملها معك إلى مسؤول الأوقاف يعوضك، وسرت معهما الأتأكد بنفسى، وقد حدث فعلا ما ذكر الرجل، فعاد الغلام سعيدا؛ لأن صاحبه لن يعاقبه على الطبق المكسور. جزى الله خيرا من يفعل مثل هذا الخير.

وهناك أوقاف لطالبي العلم أو المتفرغ للعبادة أو كفالة الأيتام، فالكل يحظى بالرعاية ولا يضطر للسؤال. وعموما فالخير في «دمشق» وغير والأمن والرضا والسلام.

إلى الحجاز

رحلت من دمشق مع الراكب المتجه إلى الحجاز، وزلنا أولا بقرية الكسوة و منها إلى الصنمين و إلى زرعة و بصرى ، و إلى معان وإلى (عقبة صوان ، وهي آخر العمران ، بعدها صحراء يقال عنها : داخلا مفقود وخارجها مولود، فسرنا بها أياما حتى وصلنا تبوك أول باد الحجاز .

ومن عادة حجاج الشام إذا وصلوا تبوك، أن يأخذوا سلاحتهم ويجروا سيفهم، ويضربوا بها النخل. ويقولون : «هكذا دخلها الرسول ص ، وتبوك بها عين ماء لا ينضب ماوها، وتبقى الجمال حولها أربعة أيام للراحة والسباحة، وتكون سقايتها في أحواض مصنوعة من جلد الجاموس ومهنون القرب مقابل دراهم للسبعين، ثم رحلنا من تبوك، وسرنا بلا توقف ليلا ونهارا خوفا من الصحراء وما بها من لمحوص وحيوانات، وأخيرا وبعد المسير أياما وصلنا المدينة حيث الحرم النبوى الشريف ولقاء الأصدقاء من الفقهاء والمجاورين، وعددهم كبير لا يطيقون الابتعاد عن الحرم وقربا المصطفى. وبالمدينة مسجد قباء، وحجر الزيوت، وجبل أحد ، وقبر حمزة ، ومسجد على مسجد سلمان الفارسي ، وقد بقينا بالمدينة أربع ليال م نزل خلالها من النوم إلا القليل، فالكل على نور الشموع يذكر الله ويقرأ القرآن ويستمع للمدائح النبوية.

رحلنا من المدينة فاحرجمنا بمسجد ذى الحليفة بعدها بخمسة أيام وهو آخر حرم المدينة و بالقرب منه وادي العقيق، ولم أزل مليئا في كل سهل وجبل إلى «شعب على وبعده الروحاء و الصفراء) ، وزلنا بدير ومنها إلى أم القرى حيث المبارك وغاية المنى .

ومكة المكرمة مدينة كبيرة مستطيلة في بطن واد تحف به الجبال غير الشاهقة، والممسجد الحرام وسط البلد والكعبة وسط المسجد عليها أسفار من الحرير الأسود مكتوب عليها بالأبيض، تكسو الكعبة بالكامل، وهي لا تخلو من الطائفين أبدا بليل أو نهار، وتتجدد الحمام يطير على الحرم كله، ولكنه ينحرف إلى أى جهة إذا اقترب من الكعبة وأبواب المسجد تسعه عشر بابا ، ومن المشاهد الكريمة بمقربة من المسجد قبة الوحي، وهي في دار «خدية أم المؤمنين .

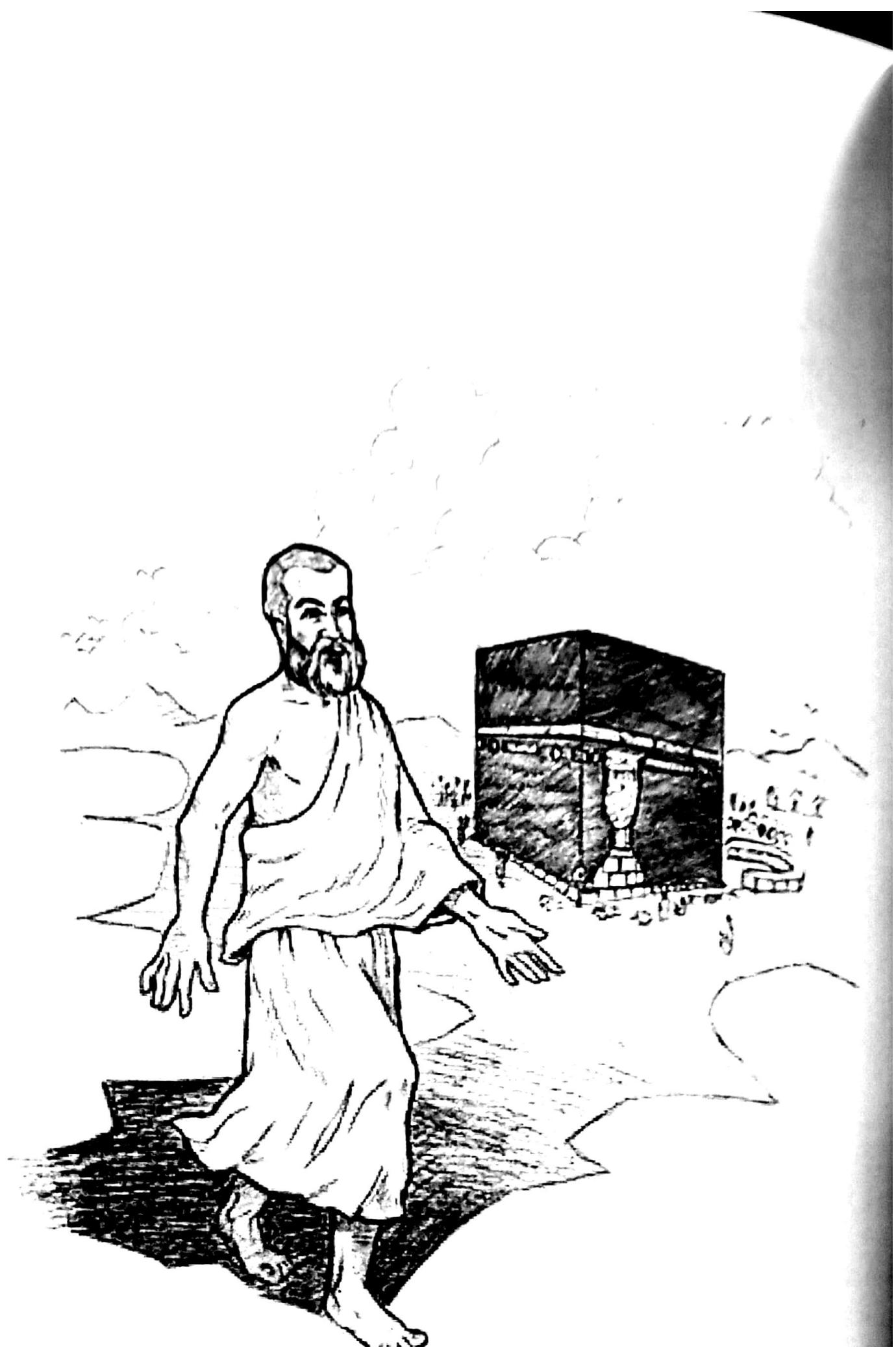
ومن الجبال المحيطة بمكة، جبل «أبي قبيس»، ويقابل ركن الحجراسود، وجبل قيقعان ، والجبل الأحمر، وجبل ثور، وجبل حراء.

ولأهل «مكة» الأفعال الجميلة، والأخلاق الحميدة، من ذلك أنهما إذا صنع أحدهم وليمة يبدأها باطعام القراء المنقطعين و الجاورين، ولهم ظرف ونظافة في الملابس وأثواب لباسهم البياض، ويستعملون الطيب و يكتون السواك بعيدان الأراك، ونساء مكة ذوات عفاف يكتنون من التطيب حتى ليغلب على الحرم رائحة طيبهن .

وأهل (مكة) يحتفلون احتفالات عظيمة يشاركون فيها الجميع، من الأمير إلى أدق الفقراء بالطبلول والخنجل، إذا أهل رجب و في السابع والعشرين منه، وفي ليلة النصف من شعبان، وإذا ظهر هلال رمضان فتنضاء الشموع والمشاعل، وتضاء المساجد و الطرق، والبيوت و يقرأ القرآن وتؤمِّل الولائم.

يثل الحرم الملكي الشريف جوهرة المدينة ومحور نشاطها والتفاف الناس جميعا حوله في كل مناسبة أو احتفال، فالحرم هو البيت الكبير للناس جميعا ، وهو مناط الدعاء واللقاء ومكان الاجتماع وساحة الأفراح، وتروج التجارة من حوله وتعقد الصفقات، بل ويحمل المرضى إلى أسواره لعل الله ين بالشفاء وهناك طفلنا ولبينا وأدینا المنساك في (منى) (مزدلفة وعرفة ، وعدنا نطوف وندعوا ونقرأ القرآن، وما تعب الأجياد نهيل إلى أحد الأركان نلتمس بعض الراحة، لكن القلوب والأرواح أبدا لا تنام ؛ لأنها تنهل من عقب الأرض الشريفة، وتصب في الوجدان حبا لهذه الأماكن يتجدد ويسرى في الدماء.

ها هنا قمت الرغبة وتحقق المراد من الرحلة التي تركنا من أجلها الأرض و الوطن ، و لا تزال الأمنية الأخيرة أن يت قبل الله منا سعينا و طوافنا



و كافة المنساك ، و تكتمل أركان إسلامنا، و نغتسل من الأدaran ، و نستقبل مرحلة جديدة نأمل أن تكون في ميزان الحسنات إن شاء الله.

من مكة إلى العراق

خرجنا من مكة في جمع كبير من العراقيين والفارسيين، و تباهى على الكل لا يخرج من الركب لحاجة ما دون علاقة أو إشارة خشية أن يضل، وكانت معنا وقرب المياه والجمال لحمل من لا يستطيع المشي والأطعمة والفواكه، وأكثر مشينا بالليل، ومنا من يحمل المشاعل الكثيرة التي أضاءت الليل وأبعدت الخطر.

تولى المسير ومررنا بعشرات القرى التي كان أهلها يخرجون إلينا بماله والفواكه حتى بلغنا «القادسية» أول حدود العراق وكانت عامرة ولكنها خربت، فلم يبق إلا النخيل، ثم نزلنا إلى «النحيف» وهي مدينة مشهد (على بن أبي طالب - رضي الله عنه) - مدينة كبيرة وجميلة بها أسواق كثيرة ونظيفة ، وبها زوايا ومدارس، ومعظم حيطانها بالقيشاني الملون البديع. و أغلب أهلها من التجار يسافرون لجلب البضائع، وهم أهل شجاعة وكرم، وقد صحبتهم فسرتي صحبتهم، وأعجبتني طباعهم لولا المبالغة في حب «على» - كرم الله وجهه - وتفضيله على غيره من الخلفاء الراشدين.

ومشهد على يبدأ بالعتبة وهي من الفضة، يقلها من ينوى الدخول، والقبة كبيرة ملونة بالزخارف والآيات، وأرضها مفروشة بالسجاد الحريمي والصوف وغيرهما، وبها قناديل من الذهب والفضة، وإلى جوارها ثلاثة قبور لدم ونوح «على» وبين القبور طوق ذهب وفضة فيها ماء الورد والممسك وأنواع الطيب، يغمس الزائريفيها ويدهن وجهه تركا.

وبعد أن زرنا أمير المؤمنين (عليه) - رضي الله عنه - تعرك الركب إلى البصرة آذنين من جانب الفرات، وبعد أيام وصلنا إلى الرواق ، و هو مكان فسيح به الآلاف من الفقراء، وصادف وصولنا الشيخ أحمد كوجك حفيد ولد الله أبي العباس الرفاعي) الذي قدمنا زيارة، وكان قدما من بلاد الروم قاصدا زيارة قبر جده، وبعد صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف وأخذ الفقراء في الرقص، ثم صلوا المغرب وقدموا المأثرات وعلوها الأرض والسمك واللبن والتمر.

وقد رأيت بعد ذلك بسنوات مثل هذه العادة العجيبة عند طائفة الجيدية بالهند، فقد أقاموا حفلًا راقصا جمعوا فيه أحجاما كثيرة من الحطب وأضموا فيها النار، ومضى المنشدون يغنوون ، والعازفون يضربون على آلاتهم، وأهل الجماعة يرقصون في النار، ويتمرغون على أنغام الموسيقى، وطلب مني كبيرهم قفيصا كان معه قلبسه ومضى يتمرغ و يضرب النار مع الآخرين حتى أطفؤوها ، وأعاد القميص إلى فإذا به لم يمس وليس به أثر للنار أو الغبار.

من بلاد الفرس إلى بغداد ومكة

ركبت من ساحل البصرة(زورقاً صغيراً إلى الأبلة، ومنها إلى عبادان في بلاد فارس) ، ومنها إلى ماجول و تستر ، و فيروزان) و (أصفهان) و (شيراز ، وكلها بلاد خير تجري فيها الأنهار وتورق الأشجار وتنشر البساتين، وبها أسواق عامرة وأهلها طيبون يحسنون الترحيب بالغرباء، والمساجد فيها كثيرة وسفرن اهتمامهم بالفقراء، ولقيت كعادق الفقهاء والعلماء وزرت الأولياء لهم لا يحصون بتلك البلاد.

وفي شيراز تعجبت لعادة أهلها، فعندما يوت للرجل ولده أو زوجته يتخد له قبراً في ركن من داره ويدفعه فيه، ويفرش المكان بالحصر والسجاد ويُشعَّل الشموع عند رأس الميت ورجليه، ويفتح باباً إلى ناحية الزقاق أو الشارع يفضي مباشرة إلى هذا الركن، ليدخل القراء فيقراءون القرآن طلباً للرحمة بالميته، وعلمت أن أهلها يطبخون الطعام ويحسب للميت نصبيه، فكانه لم يريح المكان .

وصعدنا إلى «كريلاء» حيث مشهد على - رضي الله عنه - ثم إلى بغداد) .. تلك المدينة العامرة وهي مثوى الخلفاء ومقر العلماء، بها جسران فوق نهر دجلة والفرات، وبها حمامات جيدة، وبحي الرصافة قبور كثيرة للخلفاء العباسيين، وكلهم شهد مجد الدولة الإسلامية في القرون الوسطى من الثالث الهجري حتى الثامن، ومنها خرجت إلى «تبيريز» وعدت إلى «بغداد»، ثم تجهزت للحج، ووصلنا إلى مدينة «تكريت» فالملوصل ثم نصبيين) و سنجار، ثم (الكوفة) (والقادسية).

وأصابني عند خروجنا من الكوفة إسهال، فكنت أضطر للنزول من أعلى المحمل مرات كثيرة في اليوم حتى وصلنا «مكة»، وكانت ضعيفاً بحيث أديت المنساك راكباً على فرس، وفي مني تحسنت حالى وأكملت على قدمي وقررت الإقامة بمكة تلك السنة، متفرغاً للعبادة وأقمت مجاوراً بها سنة أخرى ، و كنا قد أصبحنا في عام 730 هـ ، أي مضى على ترك «طنجة» خمس سنوات، ثم اشتقت للارتفاع فعزمت على زيارة اليمن، ومررت بجدة العامرة بamacnayn القديمة .

اليمن والصومال)

تعتبر جدة هي نصف الطريق إلى اليمن، ولم يمكث فيها طويلاً؛ لأن الماء كان قليلاً بسبب قلة المطر، وينقل الماء إليها عادة من مدن تبعد عنها مسيرة يوم كامل (أي نحو عشرة كيلو مترات) والبيوت في الغالب تخزن الماء في جب مخصص لذلك مبني المتن الألسن.

وركبنا البحر من (جدة)، وهذه هي المرة الأولى التي أركبه فيها طوال ما يزيد على خمس سنوات، وقد سبق أن ركب الأنهر في مصر وفارس والعراق.

كانت الريح طيبة لمدة يومين فقط ، ثم تغيرت وهاجت ومنعت تقدمنا، ودخلت الأمواج إلى المركب، وتنقلت كثيراً، وأحدثت للناس الدوار، وظل حالنا في خطر حتى وصلنا إلى مرسى «رأس دوادر بين

عيذاب و سواكن فنزلنا به، ووجدنا بساحله بيض نعام مكسورا تجمعت فيه المياه افسرينا وطبخنا، وكان هناك خليج صغير من البحر محصور داخل الصحراء يتجمع فيه السمك ، كنا نجتمعه بشيابنا ، كل سمكة طول الذراع واسمه البوري، فمضينا نأكل منه عدة أيام حتى جاءنا أهل المنطقة وهم من البحارة فاشترينا منهم عددا من الجمال ، وسافرنا إلى الجنوب في أرض صحراوية ملؤها الغزلان التي لم تكن تفر منها؛ لأنها تأنس للإنسان بسبب عدم صيد البحارة لها، ثم وصلنا إلى سواكن ، و هي جزيرة خالية من الماء والزرع والشجر و يجلب لها الماء بالقوارب، بها صهاريج يجتمع بها ماء المطر، و بها لحوم النعام و الغزلان و الماعز ، ثم ركبنا البحر إلى اليمن ، تسير بنا المراكب نهارا فقط ثم ترسو على الشاطئ فإذا حل المساء؛ لأن بالبحر أحجارا كثيرة لا نراها بالليل، و وبعد ستة أيام من خروجنا من جزيرة سواكن بلغنا أول مدن اليمن و هي خلي ثم انتقلنا إلى السرجنة و الحادث و زبيد ثم تعز و صنعاء و عدن ، و لقد لقيت فيها الفقهاء والأمراء فأحسنوا استقبالا و أكرموني غاية الكرم . و سافرت من مدينة عدن في البحر أربعة أيام، و وصلت إلى مدينة زيلع، و هي مدينة الباربرة، بها سوق كبيرة للماعز التي تحمل من بلاد الحبشة و بلادهم كبيرة تنتهي بمقديشو، ومنها يجلب الصندل و الأنبوس و العنبر و العاج .

ثم سافرنا بالبحر خمس عشرة ليلة حتى مقديشو، و هي مدينة كبيرة مُثلية بالجمال التي

(يتبع).....

